١- تطبيقية Appliqué

من أهم خصائص العقلانية في فلسفة باشلار خاصية التطبيق، هذا الأخير الذي تمحور بحثنا كله حول تحليله وتبيان كيف أن العقلانية لها القابلية لأن تطبق، وهي النقطة التي دفعتنا إلى البحث في هذا الموضوع والتي كان أهم سؤال فيها هو: كيف يستطيع العقل الجمع بين النظري والواقعي؟.

كيف أمكن للعقلانية حل هذه المفارقة التي تجمع بين عقل نظري رياضي محض، وعقل علمي تطبيقي تجريبي؟ من دون أن تقع في تناقضات أو انحرافات.

وكان منطلق باشلار في كل هذا الانتقاد الشديد الذي وجهه للاتجاه العقلي المحض فلسفة كان أو علما، ونفس الانتقاد وجهه للاتجاه التجريبي فلسفة كان أو علما. وهو ما عبر عنه الأستاذ أبو يعرب المرزوقي في كتابه "الابستمولوجيا البديل" "فوجود تطبيق وتنظير غير علميين هو الذي يتولد عنه الإشكال، علينا إذن أن نميز التطبيق والتنظير العلميين عن التطبيق والتنظير غير العلميين، ومما يزيد الإشكال تعقيدا هو أن علمية التنظير تقاس بقابليتها للتطبيق وعلمية التطبيق بقابليتها للتنظير"[1]. فهناك تلازم بين النظرية والتطبيق، لا يمكن الفصل بينهما، وإن حدث ذلك لم يعد بإمكاننا وصفهما بالعلمية، **ولهذا فالتطبيق غير العلمي هو الذي لا يستند إلى نظرية والنظرية غير العلمية هي التي لا تستند إلى تطبيق** إنهما يشكلان وحدة لا انفصام بين عناصرها، إنها ثنائية حركية متوازية تشكل شرطا للعلمية، ودفعا لحركة العلم إلى التقدم واكتشاف الجديد. وفي هذا يقول باشلار متحدثا عن هذه الثنائية الملازمة لمسالك العلم، والتي تأخذ نوعا ابستمولوجيا والذي يسعى إلى الجمع بين ما هو عقلي وما هو واقعي، ما يلي "ونحن سنظهر كيف يمكننا أن ندرك في أبسط مسالك العلم ثنائية ونوعا من الاستقطاب (الابستمولوجيا)

([1]). أبو يعرب المرزوقي: الابستمولوجيا البديل، ص ٥٦.

الذي ينزع إلى تصنيف (الفنومنولوجيا) تحت عنوان مزدوج، تحت عنوان مضاعف، عنوان **الواقعية والعقلية**، ولو علمنا، ونحن في صدد سيكولوجية الفكر العلمي، كيف نقف تماما على تخوم المعرفة العلمية، لرأينا كيف انصرف العلم المعاصر، إلى **تركيب حقيقي** يضم المتناقضات الميتافيزيقية **ويؤلف بينها**"[1]. ويبين لنا باشلار أن المنحى الابستمولوجي إنما يتجه بتأكيد **من العقلي إلى الواقعي** ولا يسير إطلاقا، عكس ذلك من **الواقع إلى العقل**، كما ذهب إلى ذلك معظم الفلاسفة بدءا من أرسطو ARISTOTE إلى بيكون BACON. ويعبر مباشرة عن هذا المعنى بقوله:"**وبتعبير آخر، يبدو لنا أن التطبيق في الفكر العلمي هو بالدرجة الأولى تطبيق ذو قدرة على التحقيق (...) سندعوه بتحقيق ما هو عقلي أو بوجه أعم تحقيق ما هو رياضي**"[2].

ويبين باشلار أن درجة وحاجة التطبيق ليست واحدة، في جميع العلوم، ففي العلوم الفيزيائية والكيميائية تكون حاجة التطبيق فيها جلية وواضحة، وضرورة معرفية وعلمية، بينما قد نجد التطبيق في العلوم الرياضية المحضة يبدو خفيا. لكن هذا لا يعني أن الرياضيات بعيدة عن الواقع، إنما ندرك في النشاط الرياضي أكثر من مجرد تنظيم الرسوم تنظيما صوريا، بل إن كل فكرة نقية هي مبطنة بتطبيق نفسي، مبطنة بمثل من الأمثال، مثل يضطلع بوظيفة الواقع. "وإذا أمعنا النظر في العلم الرياضي أدركنا أنه يصدر دائما عن توسيع معرفة مستقاة من الواقع، وأن الواقع ذاته في الرياضات ذاتها يتجلى في وظيفته الرئيسية: نعني إثارة التفكير"[3].

يحدد باشلار هدف دراسته وهي فلسفة العلوم الفيزيائية على وجه أخص، يستخلص تحقق ما هو عقلي في جملة التجارب الفيزيائية. هذا

(1) G. BACHELARD: le nouvel esprit scientifique, p 04.

(2) G. BACHELARD: le nouvel esprit scientifique, p 5.

(3) Ibid: pp 5-6.

التحقق هو السمة التي تميز الفكر العلمي المعاصر « ولما كان غرضنا أن ندرس فلسفة العلوم الفيزيائية بوجه خاص، فإن علينا أن نستخلص تحقق **"العقلي في التجربة الفيزيائية"** وهذا التحقق réalisation الذي يقابل مذهبا واقعيا تقنيا un réalisme technique إنما يمثل في نظرنا إحدى السمات التي تميز الفكر العلمي المعاصر. وهو يختلف بهذا الاعتبار عن الفكر العلمي السائد في القرون الأخيرة. ويبتعد خاصه بعدا كبيرا عن اللا أدرية الوضعية L'agnosticisme positiviste أو عن التساهل الذرائعي des tolérance pragmatique، ولا يتصل، أخيرا، بالواقعية الفلسفية التقليدية. بوجه من الوجوه"[1].

تجدر بنا الإشارة إلى أننا قد نوظف نصوصا في عناصر مختلفة حول السياق الذي نتحدث فيه، لأننا ونحن نقرأ لباشلار نجد أنفسنا داخل نسق ابستمولوجي، تتكرر عباراته وتصب في مصب واحد، هو العقلانية التطبيقية والمادية والتقنية، بالرغم من اختلاف عناصر وعناوين مؤلفاته، وللتدليل على ذلك: نورد النص التالي:"**سنحاول أن نستقر في هذا الموضوع المحوري، حيث تظهر عقلانية تطبيقية ومادية معلمة على حد سواء، ونشدد من جهة. فيما بعد، على المقدرة التطبيقية، لكل عقلانية علمية أي لكل عقلانية تأتي بالأدلة على خصوبتها حتى في تنظيم الفكر التقني**"[2].

يربط باشلار بين التطبيق، والعلمية والموضوعية. ويرى أن قابلية العقلانية للتطبيق دليل أو شرط لموضوعيتها. وأنها تحرز جملة من القيم تقضي إليها من فعل التطبيق "فإنما العقلانية تفوز بقيمها الموضوعية عن طريق تطبيقاتها. لم يعد المقصود إذا للحكم على الفكر العلمي، الاستناد إلى

([1]) Ibid: p 06.

([2]) G. BACHELARD: le rationalisme appliqué, p 04.

عقلانية شكلية (...) بل المطلوب هو بلوغ عقلانية محسوسة، مقترنة بخيرات هي دائمة خصوصية ودقيقة"[1].

في هذا السياق يورد باشلار عبارة للفيلسوف الفرنسي برغسون* BERGSON والتي يرى أنها تخدم غرضه وهو ارتباط العقلانية بالتطبيق، هذا الأخير الذي هو معيار صواب العقلانية في كثير من الحالات هذه العبارة مفادها "لعقلنا نزعة قوية لاعتباره الفكرة الأوضح هي الفكر الأكثر استعمالا"[2]. هذا الاستعمال الذي هو شرط الوضوح وهذا الميل الفطري- إن صح التعبير- إلى الاستعمال، يجعل الأفكار تكتسب قوة، وبفعله كما يرى باشلار يجري تقويم الأفكار تقويما استعماليا (...) ثم يأتي حين يكون فيه العقل محبا لما يؤكد معرفته أكثر مما يناقضها، ومحبا للأجوبة أكثر من الأسئلة"[3].

ما هو ملاحظ أن العقلانية التطبيقية رغم انطباقها، إلا أنها لا تعرف الثبات، كما سبق وأن أشرنا في الفصل السابق، وإنما تمارس عملية تقويم مستمر، جراء عملية الاستعمال التي ذكرنا، إنها عقلانية تطبيقية، لكن شرط التصويب وتصحيح هي أماراتها وميزة قوتها، ووضوحها، وسر نجاحها.

إن قيمة وقوة المفاهيم العلمية تقاس بالنسبة لباشلار بمقدار قابليتها للتحوير والتبدل. إن هذه القوة والقيمة تتحقق في شروط تطبيقية، بتعبير آخر."**إن غنى مفهوم علمي معين يقاس بقوته التحويرية، (...) وسوف يتحقق التدقيق الأوسط إذا صار الاغتناء الامتدادي ضروريا، ومتناسق تناسق الاغتناء الفهمي، ولإجمال تجارب اختبارية جديدة. يستوجب عندئذ تحريف المفاهيم الأولى، ودرس الشروط التطبيقية لهذه المفاهيم أو بالأخص**

([1]) ibid:ppliqué: p 04.

([2]) BERGSON: la pensée et le mouvant, paris, 1934, p 231

([3]) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 15.

إدخال شروط تطبيق مفهوم معين في معنى المفهوم بالذات وفي هذه الضرورة الأخيرة، تكمن بنظرنا، السمة المهيمنة للعقلانية الجديدة. المتوافقة مع وحدة قوية بين الاختبار والعقل correspondant à une forte union de l'expérience et de la raison"[1].

هذه العقلانية الجديدة تختلف إذن عن العقلانية الكلاسيكية التي عملت على إعطاء تقسيم يفصل النظرية théorie عن التطبيق application، عقلانية تجاهلت دور التطبيق وأبعدته عن جوهر النظرية. ولهذا اتسمت بفصل التجريب عن العقل، وفي إطار هذا الفصل بين العقل والتجريب أو ما يسميه في بعض الأحيان الفصل بين الذات والموضوع. يقول باشلار:"يتعذر أن يرى كيف يمكن لواقعية علمية أن تقوم انطلاقا من واقعية مبتذلة، إذا كان العلم شرحا لواقع معطى، فلا نرى بأي حق يكون من شأن العلم أن يرتب هذا الشرح. ستتوجب علينا إذا مهمة إظهار أن **العقلانية ليست أبدا متضامنة مع تسلطية impérialisme** الذات، وأنها غير قادرة على التشكل في ضمير منعزل. وسيكون علينا أيضا إظهار أن المادية التقنية Le Matérialisme Technique ليست على الإطلاق واقعية فلسفية"[2].

يعتبر باشلار المادية التقنية **متطابقة**، لكن هذا التطابق يكون جوهريا. ليس مع واقع ثابت جامد، بل مع واقع محول une réalité transformée، مع واقع مصوب une réalité rectifier، مع واقع تلقى تحديد، علامات الإنسان المميزة. علامة العقلانية la marque du rationalisme"[3].

يأخذ مفهوم التطبيق في حالات معينة سمة الخضوع لمقاربات متعاقبة يتمثل هذا في أن المفهوم العلمي المقابل لظاهرة خاصة هو تجمع المقاربات

([1]) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 61.

([2]) G. BACHELARD: le rationalisme appliqué, p 08.

([3]) Ibid: p 08.

المتعاقبة والتي يصفها باشلار بالحسنة الترتيب "وإن تكوين المدارك العلمية يحتاج إلى سلسلة مدارك في طريقها إلى الكمال حتى تحوز على الدينامية التي ننشد، لتكوين محور للأفكار الإبداعية. إن هذا التدريك conceptualisation يجمع تاريخ المدارك ويجعله حاضرا ففيما يتعدى التاريخ، وبدافع من التاريخ، يثير التدريك الاختبارات التي تحرف مرحلة تاريخية من مراحل المدرك المفهوم"[1].

إن هذا التدريك الذي يجمع تاريخ المدرك ويجعله حاضرا، يبحث في الاختبار عن مناسبات لتعقيد المفهوم، ولتطبيقه على الرغم من مقاومة المفهوم، وهذا من أجل توفير الشروط التطبيقية التي يجمعها الواقع: عندئذ ندرك أن العلم قد حقق أهدافه. من دون أن يجد هذه الأهداف جاهزة. يقول باشلار:"إن الفنومينوتيكنيك Phénoménotechnique توسع étend الفنومنولوجيا. **ويغدو مفهوما ما عليما بمقدار ما يصح تقنيا، وبقدر ما يترافق بتقنية تطبيقية Une Technique De Réalisation**، إذ نشعر أن مسألة الفكر العلمي الحديث، هي مجددا مسألة وسيطة intermédiaire فلسفيا (...) نرغب نحن أيضا في اتخاذ موقع وسط une position moyenne بين الواقعيين les réalistes والاسميين les nominalistes، بين العقلانيين وبين الوضعيين، بين أنصار الوقائع les faits وأتباع الإشارات les signes"[2].

هذا الكلام يوحي لنا بأن باشلار يرفض أن يكون وضعيا مطلقا، ولا اسميا مطلقا، ولا رمزيا مطلقا، ولا واقعيا مطلقا، إن عقلانيته ترفض أن تكون محضة pure **بالمعنى المطلق**. ومع هذا فهو لا يمتنع أن يصفها بالعقلانية وأن يميزها عن غيرها من العقلانيات في كونها **مطبقة**. يرى أنه لا محل للفكر العلمي المعاصر للعقلانية المطلقة أو للواقعية المطلقة. أو للواقعية

---

(1) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 61.

(2) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 61.

المطلقة، على أساس أن هذين الموقفين يوجدان في الفكر العلمي متكاملين. لا يمكن لموقف على حدا أن يطابق ما هو عليه الحال في الفكر العلمي، إنه من أجل بلوغ التكامل ومن أجل أن يفهم الفيلسوف مشكلات الفكر العلمي، يكون من اللازم عليه إن هو حقا عقلانيا، أن **يدرك أن عقلانيته في حاجة إلى أن تنطبق** وإن **كان واقعيا أن يدرك أن واقعيته في حاجة إلى أن تفهم**[1]. ولهذا يضع باشلار فلسفته دائما بين هذين الاتجاهين. فهي عقلانية، ولكن ميزتها في إرادتها في أن تنطبق. وفي هذا المعنى يقول: «فالتطبيق بالنسبة للعقلانية العلمية ليس فشلا ولا تصالحا، إنها تسعى إلى أن تنطبق، وعندما لا يتم ذلك بالكيفية الملائمة، فإنها تغير ما بها، وهي لا تنكر لأجل ذلك مبادئها، بل تجادلها Il les dialectise. وأخيرا فإن فلسفة العلم الفيزيائي هي الفلسفة الوحيدة التي تطبق، وهي تعين تجاوزها لمبادئها، إنها الفلسفة المنفتحة الوحيدة»[2].

هذا التطبيق بالنسبة لباشلار ليس إنقاصا من قيمة الفكر كما هو الحال عند بعض الفلاسفة، ويقصد هنا- أفلاطون- إنه ليس نزولا عن كمالها، بل إن هذه الإرادة في الانطباق بين الفكرة والواقع تختلف عن العقلانية الكلاسيكية والموقف العقلاني الجديد. ليست الفكرة في الفكر المطبقة فكرة قبلية أو فكرة مفارقة. ينقص التطبيق من قيمتها.وإنما يزيدها قيمة علمية.

إن الفكرة العقلانية في الموقف الجديد **برنامج للعمل**، وقيمة برنامج العلم في أن **ينطبق**، أساس فكرة العقلانية هو التجارب. غير أن تجريبيتها ليست تجريبا بالمفهوم الذي قصد هكلود برنارد Claude Bernard. إن **التجريب في العلم المعاصر ليس تجريبا للمشاهدة، بل تجارب للتحقيق، التجريب يكون صورة لإنجاز الفكرة. ومنه تكتسب الفكرة قيمتها.** وما

([1]). محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص ٨٧.

([2]) G. BACHELARD: la philosophie de non, p 07.

يستنتج من هذا الفارق هو كما أشرنا سلفا. أن الموقف العقلاني المطبق يتميز بعدم وقوفه عند مبادئ ثابتة. يضيف باشلار أن العقلانية بكونها فلسفة اليوم الواحد التي تؤكد ذاتها كل يوم جديد عند الفيلسوف العقلاني[1].

إن العقلانية التطبيقية هي التي تخضع باستمرار مبادئها للجدل، وليس كالتي تجعل همها التنوع، وترجع غناها إلى مبدأ الهوية. إن هذا الأخير بالنسبة لباشلار لا موقع له في العقلانية المعاصرة. إن مبدأ الهوية يستحوذ على العقل ويحركه ليأخذ صورة نرجسية يعود إليها العقل في كل مرة. وبخلاف ذلك تكون العقلانية المطبقة، المسايرة للعلم المعاصر -هي عقلانية إعادة النظر في مفاهيمها- إنها تتميز بكونها العقلانية التي تزيد من تطبيقاتها. وتسعى إلى أن تكون باستمرار فلسفة إعادة النظر. يقول باشلار:"الفكر العقلاني على أهبة باستمرار لا للبداية من جديد فحسب، فهذا أقل ما يمكن قوله، ولا لإعادة البناء فحسب، بل على أهبة لإعادة التنظيم"[2].

كما تتميز العقلانية المطبقة عن العقلانيات التقليدية وخصوصا منها الفلسفة التجريبية، هو أنها عقلانية تقدم برنامجها للعمل لا على أنه تلخيص للتجربة أو نسخة مطابقة للواقع أو مستمدة منه. إنها هذه التجربة المباشرة تعيقها عن الفعالية، التي تجعل منها برنامجها للعمل. يعبر باشلار عن هذه الفكرة بقوله:"هذه العقلانية الفعالة تتعارض مع الفلسفة التجريبية التي تقدم الفكر كما لو كانت تلخيصا للتجربة، وذلك بالفصل بين التجربة، وكل قبليات التهيؤ، كما أنها تتعارض أيضا مع الأفلاطونية التي تعلمنا أن الأفكار تنحط عندما تنطبق على الأشياء"[3].

---

(1) G. BACHELARD: la philosophie de non, p 07.

(2) Ibid: p 121.

(3) Ibid: p 122.

بالإضافة إلى ذلك ينبه باشلار إلى نقطة أساسية قد يقع فيها الفيلسوف وهي عندما يضع نفسه خارج العقل العلمي، ويظن أن فلسفة العلوم تنحصر في أسس العلوم في موضوعات عامة. أو أن يحصر نفسه حصرا شديدا في نطاق الأسس والأصول، فيعتقد أن مهمة فلسفة العلوم هي، **إعادة وصل أسس العلوم بأصول فكر محض.** ويعرض عن مسائل التطبيق الفعلي، ويظن أن فلسفة العلوم ليست بكلياتها من ملكوت الوقائع والظواهر la philosophie de la science j'est jamais totalement de règne des faits.

هذا التطبيق الثاني تمتاز به العقلانية لا يعتبر بترا، لأنه فعل علمي تقوده العقلانية الرياضية. إن الإنجاز البرنامجي العقلاني للتجارب يعين واقعا اختباريا خاليا من اللا معقولية، وسوف تتاح لنا الفرصة لكي نبين أن **الظاهرة المنتظمة أغنى من الظاهرة الطبيعية:** وإذا كان العلم الطبيعي المعاصر هو بناء عقلاني فإن التطبيق في منظور العقلانية العلمية ليس نكسة ولا تسوية إنما تنشد لتطبيق. إن العقلانية إذا ما أسيئ تطبيقها يصير لزاما عليها أن تطور نفسها. ومع هذا فهي لا تنكر أصولها في سبيل ذلك، وإنما تجادلها، ويضرب لنا باشلار مثالا عن مفهوم من مفاهيم الفيزياء وهو مفهوم الكتلة masse يقول: «يقدم لنا مفهوم الكتلة وبكل غرابة كأنه مفهوم جدلي، لم نكن بحاجة إلا لكتلة واحدة، فإذا بالحساب يقدم لنا اثنين كتلتين لموضوع واحد. وإن إحداهما تختصر تماما كل ما كنا نعرفه عن الكتلة في الفلسفات الأربع السابقة: الواقعية الساذجة، التجريبية الواضحة، العقلانية النيوتونية، العقلانية الأينشتينية العامة. لكن الكتلة الأخرى، المجادلة الأولى هي **كتلة سلبية.** وإن في ذلك مفهوما لا يمكن تمثله أبدا في الفلسفات السابقة"[1].

([1]) G. BACHELARD: la philosophie de non: p 35.

نتيجة لهذا الاكتشاف العلمي الجديد يتساءل باشلار: ماذا سيكون موقف العقل العلمي الجديد من مفهوم كهذا؟ ولا يتساءل ماذا كان موقف عالم من العصر السابق في مستوى فيزياء القرن التاسع عشر؟.

يجيب باشلار عن هذين السؤالين بقوله:"فبالنسبة إلى عالم القرن التاسع عشر كان مفهوم الكتلة السلبية مفهوما مخيفا، وكان بالنسبة إلى النظرية التي أنتجته، يتسم بسمة خطأ أساسي، وعبثا كان الزعم بامتلاك كل حقوق التعبير في فلسفة "كما لو": une philosophie du comme si فقد كان ثمة حدود لحرية التعبير. ولم يكن من الممكن أبدا لفلسفة: "كما لو" أن تنجح في تفسير كمية سلبية une quantité négative كما لو كانت كتلة"[1].

يقترح باشلار البديلة، إنها فلسفة "لم لا". Une philosophie du pourquoi pas؟. وسمتها الجدلية، إنها الطابع المميز للعقل العلمي الجديد. ويتساءل فلماذا لا يمكن أن تكون الكتلة السلبية؟ ما هو التعديل النظري الجوهري الذي يمكنه إضفاء الشرعية على كل كتلة سلبية؟ في أي أفق اختباري يمكن اكتشاف كتلة سلبية؟

يجيب باشلار عن كل هذه الأسئلة قائلا؟ هكذا يتصدر التحقق الواقعي: وهذه الأولوية التحقيقية تلغي تصنيف الواقع. فالفيزيائي لا يعرف الواقع حقا إلا عندما يحققه (...) زد على ذلك أن مثال التحقق متطلب: فالنظرية التي تحقق جزئيا عليها أن تحقق كليا، ولا يمكنها أن تكون محققة بطريقة جزئية. فالنظري هي الحقيقة الرياضية التي لم تجد بعد تحققها الكامل. ويتوجب على العالم البحث عن هذا التحقق الكامل"[2].

وهناك وجه آخر يأخذه التطبيق في عقلانية باشلار، فإذا كان لزاما علينا وضع العقل والموضوع العلمي، بنظام في جدلية تعاون (...) فإن التنظيم

([1]) Ibid: pp 35, 36.

([2]) G. BACHELARD: la philosophie du non, p 36.

العقلي للتجربة إذ يعبر عنه بالنظر إلى تطبيقاته، ليس مجرد قصد لعقل يستمد أضواءه من وعيه وحسب «قصدية العقلانية التطبيقية تستقي لنفسها، إمكان تصويب نفسها، إمكان تصويب، وهي مستعدة عند التطبيق، التلقي جدليات ترتب أصداء حتى في مبادئ التنظيم"[1].

قبل أن تنطبق العقلانية على الأشياء، يجب تطبيقها على العقول. إذ ذاك تأتي كينونات ontologies الفكرة المعلمة لتشفع العقلانية المعلمة. فيظهر نوع من ارتكاس réaction الوضوح التربوي عند المعلم في ترتيب عقل التلميذ المعلم. يقول باشلار في هذا الصدد:"فيقتضي على الدوام معاودة إجرائها. الواقع أن للتعداد الديكارتي وظيفتين هما: صون المعارف والمحافظة على نظامها، إلى أن يصبح وعي النظام واضحا بما فيه الكفاية لكي يأتي نظام المعارف تذكيرا بالمعارف إياها. هنا بالضبط يقوم في حميمية الذات، فعل من أفعال العقلانية التطبيقية، **وهو الفعل المفيد لعقل مطبق على نفسه.** من شأن الوعي العقلي للمعرفة أن يحلق فوق الوعي التجريبي وهو يحدد خط السير الأقرب"[2].

ويخلص باشلار من خلال تحليله لهذه النقطة إلى القول بأن **العقلانية فلسفة تعمل فلسفة تريد التوسع، تريد تكثير تطبيقاتها**، إن العقلانية التطبيقية في عملها الإيجابي استقرائية للغاية، إنها "إذا تجرأنا على القول ثنائية التعقل"[3]. عقلانية تنطبق على ذاتها كما تنطبق على الأشياء، عقلانية تصوب وتصحح وتراجع باستمرار، بفعل التجارب العلمية التي تكشف دائما عن الجديد، إنها ترفض أن تكون عقلانية مغرقة، بعيدة عن

([1]) G. BACHELARD: le rationalisme appliqué, p 09.

([2]) Ibid: p 14.

([3]) Ibid: p 85.

الواقع، وفي الآن ذاته ترفض أن تكون أسيرة الواقع خالية من كل تعقل إنها بين هذا وذاك.بمعنى عقلانية واقعية وواقعية عقلانية.

٢- تجريبية* Empirisme

---

*التجربة expérience لهذا اللفظ عند الفلاسفة معنيان: أحدهما عام، والآخر خاص.

أ- المعنى العام:

١- التجربة هي الاختبار الذي يوسع الفكر ويغنيه والمجرب هو الذي جربته الأمور وأحكمته.

٢- التجربة هي أيضا التغيرات النافعة التي تحصل لملكاتنا، والمكاسب التي تحصل لنفوسنا بتأثير التموين أو هي التقدم العقلي الذي تكسبنا إياه الحياة.

٣- وفي نظرية المعرفة: يطلق لفظ التجربة على المعارف الصحيحة التي يكتسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة لا باعتبار هذه المعارف داخلة في طبيعة العقل، بل باعتبارها مستمدة من خارجه.

ب- المعنى الخاص:

١- التجربة هي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة، في شروط معينة، يهيئها بنفسه، ويتصرف فيها بإرادته، ففي كل تجربة ملاحظة.

٢- التجريبي expérimental هو المنسوب إلى التجريب، نقول الطريقة التجريبية méthode expérimental أي الطريقة المشتملة على الملاحظة والتصنيف والفرض، والتجريب، والتحقيق.

٣- والتجريبي empirique، نسبة إلى التجربة، وله ثلاثة معان:

أ- التجريب هو الحاصل مباشرة من دون أن يكون مستنتجا من قانون أو مبدأ، وهو مقابل للنظامي systématique.

ب- التجربي هو المحتاج إلى التجربة كعلم الفيزياء على عكس الرياضيات التي تحتاج إلى التجربة، ولكن التقابل بين الفيزياء والرياضيات لا يصدق على طريقة هذين العلمين إلا في مرحلتهما الحاضرة.

ج- التجربي هو الحاصل في أذهاننا من إدراك العالم الخارجي، لا من مبادئ العقل وقوانينه، مثل إدراك قطعة الورق.